القيم الأخلاقية والأديان

مقارنات ومقاربات

إعداد

معتز محمد أبوزيد

نائب رئيس مجلس الدولة

محاضر مواد القانون العام

القاهرة – مصر

القيم الأخلاقية و الأديان
مقارنات و مقاربات

معتز محمد أبوزيد
نائب رئيس مجلس الدولة المصري ومحاضر مواد القانون العام، القاهرة، مصر
البريد الالكتروني: abuzeidsmom44@hotmail.com

مستخلص البحث:

آمن الانسان منذ العصور الأولى لحياته على ظهر الأرض بوجود معايير وقياسات للتصرفات الانسانية والتي تم ترجمتها لقيم أخلاقية اهتم الانسان بمراعاتها أملا في الوصول الى مجتمع سليم ومتوازن، ولعل عثور الانسان على هذه القيم عن طريق اعمال عقله مهد الطريق لنفسه لاستحقاق الرسالة السماوية التي أرسلها الله كديانات للبشر الذي ارتقوا بمجتمعاتهم الى نطاق الحضارات والامبراطوريات المتقدمة فجاء الدين كاطار الهي لتقييم تصرفات البشر وعلاقاتهم معتمدا بشكل كبير على عدة قيم أخلاقية وروحانية بل ومادية في بعض الأحيان في صورة تكاملية أكثر من منظومة القيم الأخلاقية التي اعتمد عليها الانسان فيما قبل ذلك .

واهتم الانسان كذلك بايجاد نقاط الترابط بين المنظومة الأخلاقية التي انتهى اليها بطريق القياس العقلي والتجربة والخطأ وبين القيم الروحية والدينية التي أرسلت اليه في شكل الديانات الى نادى بها رسل الله وأنبياؤه لهداية البشر واهتم هذا البحث بالنظر في ما تتقارب فيه الأديان والمنظومات الأخلاقية واتبع في ذلك أسلوب التحليل والاستقراء لما ورد في الآراء الفلسفية والنصوص الدينية، وانتهى البحث الى استنتاج أن فكرة الوعي لازمة يربط الانسان بين الدين والأخلاق بالفهم والمقارنة والمقاربة فيغدو الدين مكونا أخلاقيا وتظهر الأخلاق كقيمة دينية وسماوية .

الكلمات المفتاحية: الوعي المجتمعي، مقارنة الأديان، القيم الأخلاقية، القيم الروحية، الفكر الانساني

Moral Values and Religions:
Comparisons and Approaches

Moataz Mohamed Abuzied.

Vice president of Egyptian State Council, Lecturer of Public Law, Cairo Egypt

Email: abuzeidsmom44@hotmail.com

Abstract:

Since the earliest days of human life on earth, people have believed in standards and measures for human behavior, which have been translated into ethical values that humans uphold in the hope of achieving a balanced and healthy society. Humanity's discovery of these values through the exercise of reason paved the way for receiving divine messages sent by Allah as religions for mankind. Religion thus emerged as a divine framework to evaluate human actions and relationships, relying significantly on various moral, spiritual, and even material values, beyond the moral value system previously established by humans .Humanity has also sought to find points of connection between the moral system derived through reasoning, trial, and error, and the spiritual and religious values conveyed through the religions advocated by Allah's Prophets and Messengers to guide people. This research explores the convergences between religions and moral systems by employing analysis and inductive examination of philosophical views and religious texts. The study concludes that the concept of awareness is essential for individuals to connect religion and ethics through understanding, comparison, and alignment. As a result, religion becomes

an ethical component, and ethics emerge as a divine and spiritual value.

Keywords: societal awareness – comparison of religions - moral values - spiritual values - Human thought

مقدِمة:

يضج العالم حديثا بنطاقات متسارعة من التصرفات والتعاملات والحقوق التي ظهرت وفرضت نفسها على معاملات البشر وأفكارهم، وقد اجتهدت النظم القانونية والمجتمعات في وضع القوانين والنصوص التي تنظم هذه الحقوق والمعاملات؛ لضمان حفظ البشر والأنشطة التي يقومون بها وما يترتب على ذلك من حقوق والتزامات.

إلا أن التطور البشري الملحوظ والذي لم يلاحقه النص القانوني المنظم لحياة الأفراد كشف عن أهمية وجود الباعث الأخلاقي لدى الأفراد؛ ليحكم علاقاتهم بشكل واضح ومؤثر، ولما كانت القيم الأخلاقية في المجتمعات هي من الأمور التي ارتبطت بنشأة المجتمعات، وقد قامت بالعديد من أوجه التأثير في النفس البشرية وما يقوم به الافراد من تعاملات فإن هذه القيم والقواعد قد عادت ثانية إلى صدارة المشهد في القواعد التي تحكم سلوك الأفراد وما تتطلبه من وعي وإدراك.

ومن ناحية أخرى فإن الأديان وما أحدثته من تغيير في حياة البشر على مر الزمن أثبتت أهمية وجد هذا الجانب الروحي لدى الإنسان؛ تحقيقا للتوازن النفسي والوجداني الذي يؤهله للتعايش مع الآخرين في مجتمع واحد وبذات القيم الأخلاقية.

إشكالية البحث:

إلا أن الاختلاف في التفسير والتأويل والتطبيق بين القيم الأخلاقية في المجتمعات بل وبين الأديان السماوية ومن يتبعها جعل التوفيق بين القيم الروحية والقيم الأخلاقية شيئا على قدر من الصعوبة، وهو ما يتنافى مع الداعي من هذه القيم أو هذه الديانات.

منهج البحث:

إن المساحات المشتركة بين القيم الروحية والقيم الأخلاقية عديدة ومتنوعة، وهو ما يدعو إلى إعمال المنهج التحليلي في طرح إشكالية البحث،

والوقوف على التأثير المتبادل بين القيم الأخلاقية والقيم الروحية في المجتمعات، وما قدمته القيم الأخلاقية والقيم الروحية من نماذج وتطبيقات يتكامل فيها كل منهما مع الأخر، وهل يصل الأمر بين الأديان والأخلاق إلى نطاق التقارب أو المقارنة، وهو ما يمكن عرضه من خلال خطة البحث التالية:

المبحث الأول: القيم الأخلاقية ووعي المجتمعات.

- مفهوم القيم الأخلاقية.
- تأثير القيم الأخلاقية في النظام الاجتماعي.
- الوعي قيمة أخلاقية.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية ورسالة الأديان.

- الدين إطار أخلاقي.
- القواسم الأخلاقية المشتركة قي الأديان.
- أخلاقيات مقارنة الأديان.

المبحث الثالث: تشاركية الدين والقيم الأخلاقية.

- القيم الأخلاقية إثراء للفكر الديني الإسلامي.
- الجانب النظري للأخلاق والجانب العملي للأديان.
- الدين والأخلاق نماء للبشرية.

المبحث الأول

القيم الأخلاقية ووعي المجتمعات

تمهيد وتقسيم:

تتحكم القيم الأخلاقية في المجتمعات البشرية بشكل واسع، سواء أكان لهذا المجتمع ديانة أو تاريخ يرتبطان بها أم لا، وتشكل هذه القيم الأخلاقية مرجعيات لهذه المجتمعات، فتحدد تصرفاته وآفاقه وحدوده وطبيعة علاقاته، ويؤثر المجتمع في هذه القيم بالتغيير أو الإضافة أو الحذف، وكذلك يتأثر بها في نطاقات العلم والوعي والإدراك بناء على تفعيل هذه القيم، وهو ما يمكن عرضه على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم القيم الأخلاقية:

تتسع مفاهيم القيم الأخلاقية على نطاق اللغة والاصطلاح لتشمل العديد من المعاني والدلالات، وهو ما يتبين ممن تعريف المفهوم اللغوي للقيمة، والتي تشتق من الفعل: قام يقوم قياما، أي عزم واعتدل، وإذا نظرنا إلى كلمة القيمة، فقد يكون لها مفهوم لغوي اقتصادي، فتأتي في سياق تقويم السلعة أي تحديد سعر لها أو أنها قد تأتي في نطاق أخلاقي فيكون الفعل قوم بمعنى تقوم واستقام، وعلى جانب آخر قد تنتقل الكلمة إلى مجال القانون أو غيره من نطاقات التخصص الأخرى، ومن ثم فان الكلمة لها مدلول مرن ومتحرك(١).

أما عن المفهوم اللغوي للأخلاق فهي جمع تكسير من كلمة: خلق، وهي مجموعة الصفات النفسية، والتي تترجم لأعمال الإنسان، والتي قد توصف بالسمو أو القبح، وكذلك فإن اللفظ قد تأرجح بين السجية والعادة والطبع(٢).

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آباد الشيرازي – القاموس المحيط – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – الطبعة الثالثة – ١٩٨٠ – ص ١٦٦

(٢) ابن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت – لبنان – ١٩٦٨ – المجلد العاشر – ص ٨٦

وفي نطاق علم الأخلاق فإن القيمة هي ما يرتبط بالخير والشر بحيث تكون قيمة الفعل أو القول بقدر ما يحمل من عناصر الخيرية، فالقيمة صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال أي المعرفة، وطبيعة الأفعال أي الأخلاق وطبيعة الأشياء أي الفنون، وطالما أنها طبيعة كامنة فهي لا تتغير ولا تتبدل بتغير الملابسات والظروف(١).

أما من ناحية ارتباط القيمة بالسلوك الإنساني فإن القيمة تكتسب معنى البوصلة التي يقاس بناء عليها كل ما يتربط بالسلوك البشري بغية توجيهها لما هو أفضل، وما هو مرغوب في تحقيقه، ونشر المثل الأخلاقية المرتبطة به فالقيمة الأخلاقية حاضرة بلا شك في السلوك الإنساني، وهي التي تحدد اتجاهات السلوك ومقوماته، ومن ثم يمكن تعريفها على نطاق واسع على أنها: بنية الواقع التي تلازم عملنا، أو أنها طراز وسم العالم بسمات المطالب الدائمة والمؤقتة، فالقيمة إذن شرط كل موجود، ولكنها ليست بذاتها وجودا ماديا، وأنها تبدو في صورة ماهو مرغوب أو مأمول أو توازن نسعى إلى تحقيقه أو أنها لا تتحد بالهوية أو تتجسد مع الموضوع الراهن.

ولعل الاصطلاح بالنسبة للأخلاق يقدم عدة معانٍ كذلك، فهو السلوك الذي يتسم بانعكاس ما داخل الإنسان، ويسمو الخلق كلما حسن الظاهر والباطن من الأخلاق، وكذلك فهي حالة نفسية تدفع الإنسان نحو العمل دون تروٍّ أو تركيز في حين أنها مرتبطة بباطن الإنسان(٢).

---

(١) ابراهيم مدكور – المعجم الفلسفي – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر – ١٩٨٣ – ص ١٥١

(٢) د. خديجة جوادة – القيم الأخلاقية مع الآخر بين الديانات السماوية الثلاثة وانعكاساتها الواقعية – دراسة تحليلية مقارنة – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية – قسطنطينة – الجزائر – مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية – ٢٠٢٠ – المجلد الرابع – العدد الثاني – ص ٥٤٢

هي مجموعة الأفكار الأخلاقية أو المفاهيم العامة أو التوجهات نحو العالم أو أنها تمثل مجرد الاهتمامات والمواقف والتفضيلات والاحتياجات والمشاعر والميول، وعلماء الاجتماع يستخدمون مصطلح القيم بدقة للدلالة على "النهاية المعممة التي لها دلالات الصواب أو الخير أو الرغبة المتأصلة"، وتعتبر تلك الغايات مشروعة وملزمة من قبل المجتمع، حيث تحدد ما الذي يستحق العناء والسعي من أجله، يتم تفسير القيم على أنها المعايير التي يتم من خلالها تحديد نهايات العمل"، وبالتالي تمثل القيم مفاهيم جماعية لما يعتبر جيدًا ومرغوبًا وسليمًا، أو سيئًا وغير مرغوب فيه وغير لائق في الثقافة.

ووفقًا لعلماء الاجتماع يشمل تعريف القيم في الآتي: " القيمة هي الاعتقاد بأن الشيء جيد ومرغوب فيه" أو "القيم هي رغبات وأهداف معتمدة اجتماعيًا يتم استيعابها من خلال عملية التكييف أو التعلم أو التنشئة الاجتماعية، والتي تصبح تفضيلات ومعايير وتطلعات ذاتية ".

والقيمة كذلك هي فكرة مشتركة حول كيفية تصنيف شيء ما من حيث الرغبة أو القيمة أو الخير.

إن القيمة عبارة عن قناعات أساسية تعني أن هناك نمطا معينا من السلوك يُمثل الأفضلية من الناحية الشخصية أو الاجتماعية، هي المفاهيم الجماعية لما هو جيد ومرغوب وسليم، وتتمثل القيم التجارية المشتركة في العدالة والابتكارات والمشاركة المجتمعية، والقيم كذلك جزء لا يتجزأ من الفلسفة الشخصية للحياة التي نعني بها بشكل عام نظام القيم الذي نعيش به، وتتضمن فلسفة الحياة أهدافنا ومثلنا وطريقة تفكيرنا، والمبادئ التي نوجه بها سلوكنا، ومن الأمثلة المألوفة للقيم الثروة والولاء والاستقلال والمساواة والعدالة والأخوة والود، وهي عبارة عن غايات معممة يسعى إليها الأفراد بوعي، وأنها جديرة بالاهتمام في حد ذاتها، يعتبر من الصعب جدًا تحديد القيم الأساسية لمجتمع معين؛ وذلك بسبب تنوعها وتشعبها الواسع.

ويمكن أن نستنتج بعض خصائص القيم في الآتي:

- أنها عملية، وتتطلب إدراك للسياق الاستراتيجي.
- تمثل معايير الكفاءة والأخلاق.
- تتأثر القيم الشخصية بالثقافة والتقاليد ومجموعة من العوامل الداخلية والخارجية.
- أنها نسبية، ويمكن أن تختلف القيم من ثقافة إلى أخرى، وحتى من شخص لآخر.
- هي أكثر مركزية في جوهر الشخص.
- يتم تعلم معظم قيمنا الأساسية في وقت مبكر من الحياة من العائلة والأصدقاء والمدرسة والمطبوعات الجماعية والوسائط المرئية وغيرها من المصادر داخل المجتمع.
- القيم مليئة بالأفكار الفعالة حول الأفكار والأشياء والسلوك.
- تحتوي القيم على عنصر حاكم من حيث إنها تحمل أفكار الفرد فيما يتعلق بما هو صحيح أو جيد أو مرغوب، وتؤثر على سلوك الناس، وتعمل كمعايير لتقييم تصرفات الآخرين.
- تلعب القيم دورًا مهمًا في تكامل وتحقيق الدوافع الأساسية للإنسان والرغبة الملائمة للمعيشة.
- تمثل تجارب عامة في العمل الاجتماعي بحيث تتكون من ردود ومواقف فردية واجتماعية.
- القيم تبني المجتمعات، حيث إنها تقوم بدمج العلاقات الاجتماعية.
- تقوم القيم بصياغة وتشكيل الأبعاد المثالية للشخصية والوعي وعمق الثقافة.
- للقيم دور كبير في إدارة الحياة الاجتماعية، حيث إنها تساعد في إنشاء قواعد لتوجيه السلوك اليومي.

ومن ثم فإن القيم المشتركة اجتماعيًا هي جزء أساسي من حياتنا، حيث تصبح هذه القيم جزءًا من شخصياتنا، يتم مشاركتها وتعزيزها وتفعيلها مع الآخرين، وتؤثر على كل من الموقف والسلوك، أي أنها بمثابة البوصلة الشخصية لسلوك الموظف في مكان العمل.

فتساعد القيم في تحديد ما إذا كان الموظف شغوفًا بالعمل ومكان العمل، وذلك يؤدي بدوره إلى عوائد أعلى من المتوسط، ورضا الموظفين العالي، وديناميكيات الفريق القوية، مثل التعاون.

وتتعدد أنواع القيم على النحو التالي: فهي قد تكون قيما محددة، مثل تكريم الوالدين أو امتلاك منزل، أو قد تكون أكثر عمومية وشمولية، مثل الصحة والحب والديمقراطية، ويوجد نوعان رئيسيان من القيم هما:

- **القيم الفردية:**

وترتبط تلك القيم بتنمية شخصية الإنسان، وتمثل المعايير الأخلاقية الفردية للاعتراف بالشخصية الإنسانية وحمايتها، مثل الصدق، والولاء، والشرف، والأمانة.

- **القيم الاجتماعية:**

هي تلك القيم التي تشمل مفهوم تضامن المجتمع أو مجموعة المعايير الجماعية للمساواة والعدالة والتضامن والتواصل الاجتماعي[١].

أما عن المصادر التي تأتي منها هذه القيم فإنه لا يمكن الوقوف على دليل شامل ومستقر للقيم الأخلاقية، ولا يمكن تحديد أصحاب الخبرة من المبتدئين في التعامل مع هذه القيم، وإنما هناك قطاع كبير من القيم التي نتمسك بها يتم ترسيخها في سنواتنا الأولى من قبل الآباء والمعلمين والأصدقاء وغيرهم.

---

(١) منار العزب – مفهوم القيم وخصائصها وأهميتها – مقال منشور بتاريخ ٢٣ / يونيه ٢٠٢١ على موقع https://www.almrsal.com/post/1083613

وهناك العديد من المصادر التي يمكننا من خلالها اكتساب قيم مختلفة يمكن عرضها على النحو التالي:

- العائلة: الأسرة، وهي مصدر عظيم للقيم، يتعلم الطفل قيمته الأولى من عائلته.
- الأصدقاء والأقران، ويلعب الأصدقاء والأقران دورًا حيويًا في تحقيق القيم.
- المجتمع: والفرد باعتباره جزءًا من المجتمع، يتعلم القيم من المجتمع أو من فئات المجتمع المختلفة.
- المدرسة: والفرد كمتعلم تلعب المدارس والمعلمون أيضًا دورًا مهمًا جدًا في تقديم القيم.
- الوسائط: تلعب الوسائط مثل – الوسائط المطبوعة والوسائط الإلكترونية أيضًا دورًا في زيادة القيم في ذهن الناس.
- الأقارب :يساعد النسب أيضًا على خلق القيم في أذهان الناس.
- المنظمة: تلعب المنظمات والمؤسسات المختلفة أيضًا دورًا حيويًا في خلق القيمة، مثل منظومة بيئة العمل .
- الدِين والمعتقد الروحي:
- التاريخ والثقافة وما قد يصل إلى الشخص من كتب ومؤلفات(١).

ومن خلال ما تقدم يمكن الانتهاء إلى أن القيم الأخلاقية ضرورة مجتمعية تساعد في نشأة المجتمعات، وتمسك الأفراد بها يعكس ضرورتها وأهمية وفاعلية مصادرها، وهو ما يجعلها من العوامل المؤثرة في سلوك الأشخاص ووعيهم داخل المجتمع.

---

(١) مقال بعنوان القيم: الخصائص، الأهمية، الأنواع، المصادر – منشور على موقع https://www.iedunote.com/ar/%D9%82%D9%8A%D9%85

المطلب الثاني: تأثير القيم الأخلاقية في النظام الاجتماعي:

إن النظام الاجتماعي مبني على القيم الأخلاقية، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن تحصر الشعوب في الفقر والظلم والإبادة، ويمنح النظام الاجتماعي الجيد، كل مواطن الحق في أن يتمتع بالخدمات الأساسية، والثقة بالنفس واحترام الذات.

وتعد القيم الأخلاقية جزءا من الثقافة الاجتماعية، ومن لا يجيدها تعد ثقافته متدنية بأحكام المجتمع، ولا يجوز عدّ كل تعارض مع القيم الاجتماعية تخلفا، وإنما جهلا بالقيم العامة للمجتمع، لكن هذه الثقافة عرضة للتطور والتحديث مع الزمن، أي أنها تشذب نفسها بنفسها حيث تسقط بعض مفاهيمها غير المتوافقة مع الزمن، وتضيف إليها قيما جديدة قد تكون متعارضة مع القيم الأخلاقية السابقة التي يمكن عدّها بمثابة صراع الأجيال داخل النظام الاجتماعي.

تتميز العلاقة بين النظام الاجتماعي والأخلاق والقيم في المجتمع بأنها معقدة ومتعددة الأوجه، الأخلاق والقيم هي المبادئ والمعتقدات التي تشكل سلوك وأفعال الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وغالبًا ما تتأثر بالمعايير الثقافية والدينية والمجتمعية، وتستخدم كدليل للسلوك الصحيح والخاطئ، ومن ناحية أخرى، يشير النظام الاجتماعي إلى المؤسسات والهياكل والعلاقات التي تشكل المجتمع، وتتشكل هذه الأنظمة من خلال قيم ومعتقدات وسلوكيات الأفراد داخل المجتمع، وتكون مسؤولة عن الحفاظ على النظام والبنية، وبهذه الطريقة، يترابط النظام الاجتماعي والأخلاق والقيم، حيث تشكل قيم الأفراد ومعتقداتهم النظام، بينما يوفر النظام الإطار للأفراد للتصرف وفقًا لقيمهم. وبشكل عام، وتعمل الأخلاق والقيم كأساس للنظام الاجتماعي، حيث تشكل سلوك الأفراد وتفاعلاتهم داخل المجتمع.

إن السلوك والممارسة الأخلاقية المتوافقة مع قيم المجتمع تعدّ سمة أخلاقية، والمتعارضة معها تعدّ خروجا عليها، فكلما كانت القيم الأخلاقية

راسخة في ذهن أفراد المجتمع يوصف المجتمع محافظا، وكلما كانت القيم الأخلاقية غير صارمة يعدّ المجتمع منفتحا.

و كذلك فإن شيوع ظاهرة أخلاقية ما في مجتمع محافظ تعدّ مظهرا من مظاهر الثقافة المرتبطة بقيم موروثة أو قيم دينية، وليست بالضرورة ضاربة جذورها في عمق التاريخ الحضاري للمجتمع، فقد تكون طارئة لتغير الأنماط الاجتماعية نتيجة تعرض المجتمع لضغوط نفسية شديدة، مثل الحروب، والمجاعة، والقمع، والاضطهاد...؛ ما يجعله يشعر بحالة عدم الاستقرار، وفقدان الأمان، والخشية من المستقبل، فتتغير أنماط سلوكه وممارسته اليومية التي قد تصبح متعارضة كليا مع قيمه السابقة للحفاظ على ذاته من الفناء، كما يتعين تشخيص الفرق بين مسببات شيوع ظاهرة أخلاقية مجازا في مجتمع ما وبين تأويل الظاهرة الأخلاقية، فالبحث بصورة علمية عن أسباب تغير أخلاقيات المجتمع في فترة زمنية ما يعني تحديد أوجه التطور في الأنماط الثقافية أو قصورها حيث تؤثر الظاهرة الاقتصادية الإيجابية على حياة المجتمع فتغير قيمه الأخلاقية، والعكس صحيح.

و فضلا عما تقدم ان البيئة والمجتمع لهما الأثر الكبير في إيجاد المحضن الأخلاقي السوي الذي يؤثر في تشكيل وبناء شخصية الإنسان . وهذا الحيز الاجتماعي ينطوي على منظومات فكرية، تهدف إلى ضبط وتنظيم العلاقات الاجتماعية المختلفة في المجالات كافة، بما يؤثر في الإنسان، بل هناك حتمية في تشكيل شخصية الإنسان وفقا لثقافة ذلك المحيط الاجتماعي، فإذا كانت القيم والأخلاق والأعراف التي تسود في البيئة والمجتمع غير سوية، فبالتالي سينشأ الأفراد تنشئة سيئة، وخصوصا إذا خالط الشخص أفرادا لا يتحلون بالأخلاق الحميدة[1].

(١) حسن العطار – مقال دور الأخلاق في بناء المجتمعات – بتاريخ ٢ يناير ٢٠٢١ على موقع ايلاف https://elaph.com/Web/opinion/

ومن هنا نستطيع التأكيد بأن الأخلاق هي أساس بناء أي مجتمع، حيث تقود الأخلاق الجيدة الى وجود مجتمع متماسك وخالي من الجرائم ومظاهر الفساد المختلفة الأخلاقي بل والعقائدي كذلك ويكون قادرا على مواجهة أفكار التطرف والالحاد والتي تختزل الدين في المقام الغيبي لمواجهة المشكلات وهو ما لا يقبله المنطق وتنبذه الأخلاق الصحيحة كما نادت بعض الأفكار التي واجهن الفكر الديني تحت ستار التبرير العلمي وأن انتشار هذه الأفكار يؤدي ليس فقط الى اهتزاز المنظومة الأخلاقية وانما الى اهتزاز المجتمع ككل بما يضر فكرة الثبات الأخلاقي والمجتمعي .

إن تعارض السلوك والممارسة اليومية للفرد مع القيم الأخلاقية السائدة بمثابة خروج على النظام الاجتماعي، والذي يقاس بثنائية الفضيلة والرذيلة، فكل ما يتوافق مع أخلاقيات المجتمع يصنف في خانة الفضيلة، وكل ما يتعارض مع أخلاقيات المجتمع يصنف في خانة الرذيلة، وهذا المعيار قد يكون صالحا أحيانا لقياس ظواهر أخلاقية عامة تستمد شرعيتها من ثنائية الخير والشر، لكن في كثير من الأحيان لا يصلح لتحديد ماهية الفضيلة والرذيلة الخاصة بكل مجتمع من المجتمعات البشرية؛ نظرا لاختلاف القيم الأخلاقية، فما يعد فضيلة في مجتمع ما قد يكون رذيلة في القيم الأخلاقية لمجتمع آخر(١).

وعلى ذلك فالأخلاق ضرورة فردية، وحاجة اجتماعية، فهي ملاك الفرد الفاضل، وقوام المجتمع الراقي، يبقى ويستقر ما بقيت، ويذهب ويتلاشى إن ذهبت، بل لا حياة له بغيرها، ومن يظن أنه يمكن أن يعيش بدون الالتزام الأخلاقي فهو واهم.

---

(١) صاحب الربيعي – مقال بعنوان القيم الأخلاقية في المجتمع – منشور بتاريخ ٢٢ / ٧ / ٢٠١٠ على موقع الحوار المتمدن
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=223355

وسوف تظل الأخلاق حاجة أساسية للإنسان، وبدونها يصبح الإنسان مصدر سوءٍ لأخيه الإنسان، مما لا يتيسر معه إقامة حياة اجتماعية سليمة، وترجع هذه الحاجة إلى أن غرائز الإنسان متعددة ومتنوعة، مُعقدة غير سهلة، مركبة غير بسيطة، فمنها الفردي الذي يدفع إلى الأَثَرة والأنانية والبخل، ومنها الاجتماعي الذي يدعو إلى التعاون والإيثار والكرم، ومنها ما يهبط إلى حضيض المادة، ومنها ما يسمو به إلى أفق الروح؛ ذلك أن الإنسان نفسه مخلوق مركب، في كيانه جزء أرضي وجزء سماوي، هو جسد وروح، شهوة وعقل، وإنسان وحيوان، وملاك وشيطان.

وإذا كان الإنسان على المستوى الفردي في حاجة إلى الأخلاق، فإن المجتمع بكل أطيافه لا يقل عنه في حاجته إليها، فكما أن الفرد يضيره ويفسده أن يكون كاذبًا مرائيًا حسودًا خائناً ماكرًا ظالمًا، كذلك يفسد المجتمع بشيوع هذه الصفات في أفراده، فالأخلاق هي الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم، وهي ضرورة إنسانية لازمة لحياة المجتمع؛ لأنها توضّح أساليب التعامل الاجتماعي مثل: العدالة، والمساواة، والتعاون، والإخلاص، والصدق، والوفاء، والعفة.

ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن الأخلاق ألزم للإنسانية من العلم، فلا توجد أمة سعيدة مترابطة بدون الأخلاق مهما بلغت من التقدم العلمي، وها هي الحضارة الغربية ركّزت على العلم فقط، وأهملت الأخلاق والقيم؛ ولذلك فإن أبناءها يعانون كثيرًا من الأمراض النفسية والعصبية، والإحصائيات تشير إلى ارتفاع معدلات الانتحار، وخاصة بين الشباب.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فُقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار.

ولذلك قال أحمد شوقي:

وإذا أصـــيبَ الـــقومُ في أخلاقِهِمْ * فـــأقمْ عـــليهم مـــأتمًا وعـــويلاً**

وتعتبر الأخلاق غاية من أسمى الغايات الإنسانية، ومن أعظم المقومات للحضارة الإنسانية، لا يمكن الاستغناء عنها لأي نوع من الأنواع البشرية، ولا لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، من أجل ذلك منذ أول وجود المجتمع الإنساني كانت المهمة الأخلاقية من أحسن المهمات لسائر الأديان والمذاهب(١).

المطلب الثالث: الوعي قيمة أخلاقية:

يعتبر الوعي الحالة العقليّة التي يتم من خلالها إدراك الواقع والحقائق الّتي تجري من حولنا، وذلك عن طريق اتّصال الإنسان مع المحيط الّذي يعيش فيه، واحتكاكه به ممّا سيسهم في خلق حالة من الوعي لديه بكلّ الأمور التي تجري وتحدث من حوله، ممّا يجعله أكثر قدرة على إجراء المقاربات والمقارنات من منظوره هو، وبالتالي سيصبح أكثر قدرةً على اتّخاذ القرارات التي تخص المجالات والقضايا المختلفة التي تطرأ له، والوعي أيضا هو المحصول الفكري الذي ينضوي عليه عقل الإنسان، بالإضافة إلى وجهات النظر المختلفة التي يحتوي عليها هذا العقل والتي تتعلّق بالمفاهيم المختلفة التي تتمحور حول القضايا الحياتيّة والمعيشيّة، الوعي قد يكون وعيا حقيقيا بطبيعة القضايا المختلفة المطروحة حول الإنسان، إلّا أنّه قد يكون وعيا مُضللا زائفا، فالوعي الزائف هو ذلك الوعي الذي لم يدرك الأمور على حقيقتها التي تجري عليها، مما سيجعل حكمه على مختلف القضايا والأمور التي تجري من حوله حكما خاطئا لم يستطع مقاربة عين الصواب بأيّ شكلٍ من الأشكال.

---

(١) د. جمال نصار – أهمية الأخلاق لرفعة المجتمعات وتماسكها – مقال منشور بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠٢٣ – على موقع د. جمال نصار https://gamalnassar.com/

ومما لا شك فيه أن الضمير الأخلاقي أو الذات الأخلاقية صنوان لفعل قيمي، باعتبارها أحد أهم تجليات وعي الذات الشخصية للواجب والمسؤولية تجاه المجتمع والعالم.

وحسب معجم علم الأخلاق قد "لا يتجلّى الضّمير في صورة إدراك عقلي لقيمة الأفعال الأخلاقيّة، فقط، بل وفي صورة معاناة عاطفيّة، كما في الشّعور بتأنيب الضّمير، أو في أحاسيس "راحة الضمير الإيجابية"، فالمحسوس أحيانا لا يشي بالحقيقة المدركة عقليا؛ ولهذا يمكن تشكيله عبر تمفصلات أخرى، بفعل تقدير وفهم الفرد للسلوك أو الفعل الخاص والاستجابة الإيجابية للتغيير، بما هو تهذيب وارتفاع وجداني وأخلاقي.

إذا كان الضمير المقصود جملة من المعارف الباطنية الضامة للمشاعر والعواطف والانفعالات والسرائر فإن ثمة ما يجسد حضوره الميتافيزيقي على مستوى الحواس، وهو رابط فلسفي جوهري بالدلالة على شحن الوعي الأخلاقي وتقديره وتحفيزه أن يكون كيانا وجدانيا متعاليا يضطلع بمهام الشّعور المتاخم بين الخير والشّرّ، ومحاكمة الذّات ومحاسبتها، ومراقبتها وفق الأبعاد والخلفيات النفسية والعقلية.

ألا يستدعي ذلك مقاربة جملة من الاعتبارات الخاصة بسلطة الضمير وتقاطعاته الروحية والوجدانية.

كيف يكون للضمير يد على الآخر؟ ما علامات تصاعد مقدرات الضمير وعائدات هدمه للأفعال المرفوضة أخلاقيا؟ كيف يستعيد الضمير شخصيته الكاريزمية؟ وهل هو معصوم من الخطأ والردة الأخلاقية؟ وهل هناك ضمير راشد وضمير طائش فاسد؟

الحقيقة أن أسئلة سوسيولوجية كثيرة تستنتج درجة معقولة من التفكير بين شقين للضمير: واحد مفرد يتقاطع مع آخر جمعي، وبينهما شعرة معاوية، حيث يمكن ترسيم حدود للوعي الشقي بينهما.

إن الغاية الأخلاقية هي من تثير جدلا الفصل بين الضميرين، حيث يمكن استيعاب درجات المعايير السلوكية، ما بين الواجبات والسلوك الملزم.

وسلطة الإلزام تلك صادرة عن مصدرين: الوازع الداخلي، وسلطة المجتمع، وهو ما يؤكد من فرضية استمداد قوة القيم الأخلاقية من الطابع الإلزامي للضمير الفردي قبل الجماعي.

كما يمكن تفسير علاقة القيم الأخلاقية بالحرية الشخصية انطلاقا من حتمية تصريف مجموعة من السلوكيات والمواقف اعتبارا للعلاقة بين العقل والواقع، وانشداد الإرادة بالوعي إلى بلوغ الهدف، باعتبار الإرادة قدرة على الاختيار والتصرف وفق ما يمليه تفكير الفرد، وحسب قناعته.

من أجمل ما انطبع في الدلالات الأخلاقية لدى فلاسفة التصوف اجتراح الضمير الأخلاقي لوحدتي الوجود والمعرفة؛ لهذا كان ابن عربي يستنفر قيمتي: الذوق، والمحبة؛ لتحويلهما إلى قيمة أخلاقية كبرى، ضمن آليات قيم الإيثار الصوفي الراسخ. (١)

فالمجاهدة التي هي الأخلاق العملية المرتبطة بالسلوك البشري، هي تهذيب النفس وإعدادها لبلوغ الكمال والشعور بالسعادة، ولا يتأتى ذلك إلا باقتفاء أثرين صميمين: سياسة النفس ظاهرا، وسياسة النفس باطنا.

وكم هو صعب هذا التوق إلى مسايسة النفس وترويضها وتعميدها بماء الصد والرد والإغارة.

وإذا كان الأمر معقودا على النظر في النفس قبل التدبر فكيف بها وهي منفلتة خاضعة للهوى والضعف الدنيوي المادي؟!.

لكنها مع ذلك تدرك أصلانيتها في جوهرها ومادتها المتحلقة، حيث تصطلي الحكمة عند الإشراق، وتكمن في الظلمة عند الإخفاق.

---

(١) مصطفى غلمان – في أخلاقية الضمير والوعي الأخلاقي – مقال منشور على موقع هسبريس – بتاريخ ١٠ / مايو / ٢٠١٩ https://www.hespress.com/

أما عن الوعي الأخلاقي في المجتمع فهي مرحلة أولى ومهمة من مراحل السلوك الاجتماعي الأخلاقي، وهو القدرة على رؤية المعضلة الأخلاقية، ومقدار الدور الذي يمكن لتصرفاتنا أن تؤثر فيه على الآخرين، ويظهر الوعي الأخلاقي أيضا على إدراك العناصر ذات الصلة بالحالة الاجتماعية، وبناء تفسير استنادا إلى تلك العناصر.

ويبنى الوعي الأخلاقي في المجتمع من خلال أدوات تفاعلية نفسية، وقانونية (القانونية التي تمثل ضغط العرف الاجتماعي، والقانونية التي تمثل ضغط فواعل القوى المؤثرة في المجتمع، ومنها الدولة، الدين، الوجهاء، أصحاب السلطة المعرفية).

ويرى الذين أوتوا العلم من علماء الدين وعلماء النفس التربوي والاجتماعي أن الوعي الأخلاقي ليس هدية فطرية تجود بها الطبيعة على مجتمع دون مجتمع أو فرد دون الآخر، بل هي عادة مكتسبة تحصل تحت تأثير التربية والقدوة الصالحة النابعة من الوازع الديني التربوي، وحين يدقق المجتمع في محاسبة أفراده، وحين يرفض الأفراد أنفسهم مبدأ التساهل مع الذات ومع الآخرين، هنا تأتي الصرامة الخلقية لتزيد من إحساس الأفراد بالقيم، وتساهم بخلق الإطار الاجتماعي الساند للصرامة الأخلاقية، مما يقود أفراد المجتمع إلى التمسك بالمبادئ الأخلاقية، وتنمية الوعي الخلقي لدى الأفراد أو الجماعات.

ويجمع أغلب الباحثين الاجتماعيين على أن المنظومة الأخلاقية وسط المجتمع الجزائري تعيش حالة من الانحراف غير مسبوق، حيث تحول الصدق والأمانة والالتزام بالوعود والمحافظة على السلوك العام في الشارع والأخلاق الحميدة والنهي عن المنكر... إلخ، إلى قيم "قديمة" أكل عليها الدهر وشرب، وهي بعيدة عن التطور والتحضر في نظر هؤلاء؟؛ أما نشر ثقافة الغش والتحايل والكذب والتزوير والخداع والسرقة والفساد والعنف... إلخ، فهو شر لا بد منه في هذا العصر؟

يمكن الجزم بقوة على أن هناك علاقة توتر ظاهرة بين الديموقراطية والبنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، ولابد من إعادة النظر في سلوك الفرد، وإعادة تصحيح مسار اتجاهات، ولنبدأ بأطفالنا وشبابنا، ومحاولة غرس القيم والمبادئ الأخلاقية الحميدة فيهم " لا توجد ظواهر أخلاقية، هناك فقط تأويل أخلاقي للظواهر"، " لا توجد ظواهر أخلاقية، هناك فقط تأويل أخلاقي للظواهر"، حتى تترسخ في أذهانهم، وتصبح ثقافة الاخلاق لا تزول بزوال العلماء والمختصين ورجال الدين والحكماء من القوم... إلخ، وذلك من خلال التربية والتعليم في الصغر، فالنقش على الصخر لا يمكن أن يزول حتى أمام تقلبات الطبيعة وتعرياتها[١].

(١) ابراهيم عامري – أزمة الوعي الأخلاقي في المجتمع – مقال منشور بتاريخ ٢٢ / ٧ / ٢٠٢٢ – على موقع https://www.echoroukonline.com/

المبحث الثاني

القيم الأخلاقية ورسالة الأديان

تمهيد وتقسيم:

تحتوي الأديان على رسالات سماوية من الله لهداية البشر والوصول إلى حياة أفضل ماديا وروحيا، وقد امتزجت الأديان بالعديد من الفضائل والأخلاق والتي اجتهد الانسان؛ ليقرها في مجتمعه، فاصبح من الصعب في بعض الأحيان التفرقة بين مبادئ الأخلاق وقواعد الشرائع والأديان، وهو ما اشتركت فيه جميع الأديان، وجعلت الأخلاق نطاقا حاكما مشتركا بين جميع الأديان، وكذلك يجب أن يتم التحرك بشأن هذه المنظومة الأخلاقية عند اتباع الفكر المقارن بين الأديان السماوية المختلفة.

المطلب الأول: الدين إطار أخلاقي:

يمكن النظر إلى فكرة الأخلاق في الأديان السماوية حسب الأنثروبولوجيا الكلاسيكية (التطورية) حيث بدأ الدين كحالة طقوسية خالصة قبل أن يتحول إلى نظام شامل يضم اللاهوت والأخلاق، وهي فرضية مناقضة للتصور الكتابي الذي ينظر إلى الدين كمطلق كلي ولد نهائيًا ولا يرد عليه التطور، وهو ما ينطبق على الأخلاق بوصفها شقًا من الدين.

الدين مصدر الأخلاق، وهي جزء منه لا يستغرق بنيته الكلية، والأخلاق أخلاق أي خيرة؛ لأن الله وصفها بذلك، وليس باستحسان العقل أو تقرير العرف؛ ولذلك فهي محكومة بالدين لا حاكمة عليه، بمعنى أنه لا يصح محاكمة الدين إلى مبادئ مستقلة عن منطوقه، أو بعبارة مكافئة لا يجوز التساؤل عن أخلاقية الأحكام الدينية، فمثلًا حين ينص الدين على إباحة الرق فهذه الإباحة أخلاقية في ذاتها، أي لا يجوز تقييم خيريتها بمعايير خارجية (فوق دينية)، وينطبق ذلك على بقية الأحكام التي تبدو صادمة للحس

الأخلاقي الخالص، مثل أحكام التحريض على العنف، أو أحكام التفريق بين البشر في حرمة الدماء بسبب الدين (لا يقتل اليهودي بغير اليهودي قصاصًا، ولا يقتل المسلم بغير المسلم قصاصًا).

في المقابل يعتبر الفكر الوضعي أن الأخلاق – كالدين – ظاهرة اجتماعية تاريخية، نشأت وتطورت داخل العالم بفعل الإنسان، وهي رغم تقاطعها مع الدين التاريخي تحتفظ بوجود مستقل عنه، حيث الدين بالأساس بنية طقوسية لاهوتية، ثمة أخلاق رفيعة في سياقات غير دينية، وهي تغيب أحيانًا في سياقات دينية؛ ولذلك يمكن الحديث عن أخلاق دينية خاصة بكل ديانة، ويمكن محاكمة هذه الأخلاق الخاصة طبقا لمبادئ الأخلاق الكلية. (١)

إن الأخلاق – كظاهرة واقعية في الحياة الإنسانية – لا يمكن تفسيرها تفسيرًا عقليًا، ولعل في هذا الحجة الأولى والعملية للدين، فالسلوك الأخلاقي، إما أنه لا معنى له، وإما أن له معنى في وجود الله، وليس هناك اختيار ثالث، فإما أن نُسقط الأخلاق باعتبارها كومة من التعصُّبات، أو أن نُدخل في المعادلة قيمةٌ يمكن أن نسميها الخلود، فإذا توافر شرط الحياة الخالدة، وأن هناك عالمًا آخر غير هذا العالم، وأن الله موجود – بذلك يكون سلوك الإنسان الأخلاقي له معنىً وله مبرر.

قلة قليلة من الناس هي التي تعمل وفقًا لقانون الفضيلة، ولكن هذه القلة هي فخر الجنس البشري وفخر كل إنسان، وقليل هي تلك اللحظات التي نرتفع فيها فوق أنفسنا، فلا نعبأ بالمصالح والمنافع العاجلة، هذه اللحظات هي الآثار الباقية التي لا تبلى في حياتنا.

---

(١) عبد الجواد يسن – بين الأخلاق والدين – مفاهيم اشكالية فس الوعي الاسلامي المعاصر – مقال منشور بتاريخ ١٢/مايو/٢٠١٨ – على موقع
https://www.almesbar.net/

وفي مقام الربط بين السلوك والانتماء العقائدي فان السلوك ليس بالضرورة من اختيارنا الواعي على العكس من الدين الذي يتعين قيامه على التكليف بالعقل، فعلى الأرجح يكون السلوك نتيجة التنشئة والمواقف التي تشكلت في مرحلة الطفولة أكثر منه نتيجة للمعتقدات الفلسفية والسياسية الواعية التي تأتي في مرحلة متأخرة من مراحل الحياة، فإذا تعلم شخص ما أن يحترم كبار السن، وأن يحافظ على كلمته، وأن يحكم على الناس بصفاتهم، وأن يحب الآخرين ويساعدهم، وأن يقول الصدق، وأن يكره النفاق، وأن يكون إنساناً بسيطاً أبيًّا، إذا نشأ على كل هذه الأخلاق الحميدة فستكون هي صفاته الشخصية، بصرف النظر عن أفكاره السياسية الأخيرة أو فلسفته التي يعتنقها، هذه الأخلاقيات (إذا نظرنا إليها نظرة تحليلية) مدينة للدين ومنقولة منه، فقد نقل التعليم نظرات وفضائل دينية أصيلة في ما يتصل بالعلاقة بين الإنسان والإنسان، فكان الدين هو مصدر هذه الأخلاقيات(١).

على أيّ حال فإن أصل العلاقة والارتباط الوثيق بين الدين والأخلاق من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى إقامة دليل وبرهان؛ لأن تربية وتهذيب الناس على المستوى الأخلاقي من الأهداف الرئيسة لجميع الأنبياء، وأن الجزء الأكبر من النصوص الدينية لمختلف الأديان يختصّ بالمسائل والموضوعات الأخلاقية والوصايا والتوجيهات العملية، ومن الناحية الدينية فإن السير والسلوك الأخلاقي يمثِّل شرطا لفلاح الإنسان، ومقدّمة ضرورية للحصول على التجربة الدينية، من هنا يرى بعض المختصّين في الدين أن الأخلاق تمثل بُعْدا ضروريا من أبعاد الدين، وهناك مَنْ ذهب – في مقام التأكيد على عمق العلاقة بين الدين والأخلاق – إلى القول بأن الأخلاق تمثِّل جوهر

(١) علي عزت بيجوفيتش – الأخلاق والدين – مقال منشور بتاريخ ١٥ / سبتمبر ٢٠٢٢ – على موقع http://www.khotwacenter.com/

الدين. بَيْدَ أنّه حتّى إذا اعتبرنا جوهر الدين شيئا آخر غير الأخلاق فلا يسعنا أن ننكر الارتباط الوثيق بين الدين والأخلاق، فعلى سبيل المثال: لو اعتبرنا جوهر الدين هو التجربة الدينية (لقاء الله)، أو التعلق النهائي، أو الإيمان بشيء يمنح الحياة معنىً ومفهوما، أو القول باعتقاد معنوي وأمور من هذا النوع، يمكن لنا مع ذلك أن ندَّعي بأن التجربة الدينية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتجربة الأخلاقية والسير والسلوك الأخلاقي، وأن الالتزام بالقِيَم الأخلاقية يعمل في الحدِّ الأدنى على تسهيل وتسريع التجارب الدينية، وأن التعلق النهائي والالتزام برؤية اعتقادية خاصة يستلزم ويتضمَّن القول بمنظومةٍ من القِيَم والمعايير، وهكذا.

إن العلاقة بين الدين والأخلاق تمثِّل واحدةً من المسائل المشتركة لفلسفة الأخلاق، وفلسفة الدين، والكلام (اللاهوت)، وفلسفة السياسة، وهي جديرةٌ بالدراسة والتأمُّل الفلسفي من جهاتٍ عديدة، يقول ريتشارد ماو: « يسعى كلٌّ من الدين والأخلاق إلى الإجابة عن السؤال القائل: كيف ينبغي للإنسان أن ينظِّم حياته؛ كي تزدهر إنسانيته؟ « وحيث إن هذا السؤال يشكِّل هاجسا ملحّا بالنسبة إلى الفلاسفة فإنهم يضطرّون إلى توظيف الفلسفة في ما يرتبط بالعلاقة بين الدين والأخلاق، وهو يرى أن الفلاسفة الذين يدرسون العلاقة بين الدين والأخلاق يبحثون بشكلٍ خاصّ في الموضوعات التالية:

١- مرجعية الله والحياة الأخلاقية.

٢- دور الدين في تنمية الهوية، وبلوغ الإنسان أخلاقيا.

٣- دور الرؤية الدينية في بلورة تصوّراتنا بشأن المسائل الأخلاقية.

٤- قدرة النُظُم الأخلاقية الدينية على الإجابة عن مسائل الأخلاق العملية[١].

(1) Mitchell, B.(1980) Morality: Religious and Secular (Oxford: Clarendon Press). P. 50

وتعدّ العلاقة بين الدين والأخلاق ومعرفة الله وبيان صفاته من المسائل الرئيسة في فلسفة الدين والكلام أيضاً؛ ومضافا إلى ذلك فإن الاتجاه الأخلاقي إلى الدين – كما سنرى بالتفصيل – يعدّ من الاتجاهات المبرَّرة والمقبولة. وإن مسألة توجُّه الناس إلى الدين في حدّ ذاتها من المسائل التي يبحثها فلاسفة الدين والمتكلِّمون.

كما تحظى العلاقة بين الدين والأخلاق بأهمّية قصوى بالنسبة إلى «معرفة الدين»، و«فلسفة السياسة»، و«فلسفة الفقه» أيضاً، إلا أن بحث التداعيات المعرفية والسياسية والفقهية والعملية للعلاقة بين الدين والأخلاق أكبر من الظرفية الاستيعابية لهذا الكتاب، وهو يشكِّل موضوع كتبٍ أخرى نعمل على تأليفها.

هذا، وإن البحث في العلاقة والنسبة القائمة بين الدين والأخلاق يشتمل على تداعيات ونتائج عملية مصيرية، ولا ينبع من مجرّد الهواجس النظرية والأكاديمية، يقول وليم فرانكينا: «لو كانت الأخلاق – والسياسة بتبعها – قائمةً على الدين وجب علينا أن ننظر إلى الدين بوصفه قاعدة للإجابة عن كلّ مسألة فردية واجتماعية مهما بلغت أهمّيتها، ولكنْ إذا لم يكن الأمر كذلك يمكن لنا في الحدّ الأدنى أن نجيب عن هذه المسائل على أساس مبانٍ أخرى، من قبيل: التاريخ، والعلم، والتجربة العملية) .

إن الكثير من الأدلة التي يتمّ تداولها اليوم لصالح العودة إلى الدين، وإعادة الحياة للتفكير الديني، وضرورة حضور الدين في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، وخاصّة في ما يتعلَّق بالأدلة على إثبات الصلة الوثيقة بين الدين والسياسة، ينشأ في واقع الأمر من القول باتحاد الدين والأخلاق، واعتبارهما شيئا واحدا، وينطلق من فرضية أن الأخلاق تستند بنحوٍ من الأنحاء إلى الدين، ومن هنا يذهب التصوُّر إلى أن حاجة الإنسان إلى الأخلاق تعبيرٌ آخر عن حاجته إلى الدين، وفي هذا السياق نجد الكثير من الذين ينبرون إلى نقد

الثقافة والحضارة الغربية الحديثة، وما تعانيه من غياب الأخلاق والمعنويات، ويرَوْن في العودة إلى الدين علاجا لهذه الأمراض، ممّا يعني أنهم يعتقدون أن الأخلاق والمعنويات تقوم بشكلٍ وآخر على الدين، ومن هنا يمكن اعتبار التحقيق بشأن العلاقة بين الدين والأخلاق من أهمّ ما يجب أن يضطلع به المصلحون الاجتماعيون أيضا.

إن جوهر الأخلاق الدينية عبارة عن دعوى أن الأخلاق ترتبط بنحوٍ من الأنحاء بالدين، إلاّ أن لهذا الادعاء المجمل تقريرات وقراءات متنوّعة، وقد أقيمت لصالحه أدلة متعدّدة، وبعبارةٍ أخرى: يمكن لنا أن نفترض روابط وعلاقات متنوعة بين الدين والأخلاق، وإن الذين يدّعون قيام الأخلاق على الدين إنما ينظرون إلى جميع أو إحدى هذه العلاقات(١).

المطلب الثاني: القواسم الأخلاقية المشتركة في الأديان:

تتصف الديانات السماوية الثلاثة بالوقوف على ثوابت أخلاقية والتأكيد عليها، وهو ما يتفق مع طبيعتها بشأن الانتقال إلى مستوى أرقى من البشرية، ومن التعامل بين البشر، فمن بين النصوص التي يتعين الاسترشاد بها من بين النصوص الدينية ما جاء في أسفار التثنية والخروج واللاويين " كالوطني منكم يكون الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر.."(٢).

وعلى الرغم من المعالجة الخاطئة والتي قد تتجرد من معاني الإنسانية المشتركة وقيمها الأخلاقية التي يحملها الفرد اليهودي ناحية الأغيار أو غير

---

(١) د. أبو القاسم فنائي – الدين في ميزان الأخلاق – قراءة في العلاقة بين الأخلاق الدينية والأخلاق العلمانية – مقال منشور بتاريخ ٢٦ / يناير ٢٠١٧ – ترجمة حسن علي مطر – على موقع https://nosos.net/

(٢) الكتاب المقدس – سفر اللاويين – الاصحاح ١٩ – الآية ٣٤ و٣٧

اليهود من الحقد وعدم القبول بما يتنافى مع أسس مبادئهم الدينية السالف ذكرها إلا أن ذلك لا يمكن أن يلحق بفكرة الدين السماوي أو النص المقدس ما يعيبه أو يبطل رسالاته، فضلا عما جاء في الكتاب المقدس القديم أي أسفار التوراة الخمسة فإن الكتاب المقدس الجديد وهو الإنجيل لم يخل من التأكيد على النزعة الأخلاقية المشتركة بكل ما دعا إليه السيد المسيح من السماحة والمحبة، وقد أعلنها بكل الصراحة عندما قال – عليه السلام – في إنجيل متى "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"(١).

ولعل التكامل الأخلاقي بين الأديان الثلاثة السماوية يبطل جدية الكثير من الصراعات بين أتباع الديانات، في عصرنا الحالي خصوصا، تكون الحاجة ماسة إلى سماع صوت العقل والعودة إلى القيم المشتركة لهذه الديانات، ويؤكد على ما يتعين توفره من ضرورات التعايش والفكر الواعي والرشيد الذي يستند الى شرعية أساسها القيم الأخلاقية.

نعني بالديانات السماوية كلا من الديانة اليهودية والمسيحية والإسلامية، هذه الديانات الثلاث جاءت لتنظيم الحياة بين البشر، وتوجيه سلوكيات معتنقيها إلى ما هو خير، وإبعادهم عن كل ما هو شر، وقد اعتمدت هذه الديانات التربية كوسيلة لنشر مبادئها، والدفاع عنها، مبشرة معتنقيها بمجتمع تسود فيه المساواة والعدل والتسامح واحترام الآخر، والإيمان بوحدانية الله خالق كل البشر، وكل ما هو موجود في الكون، مجتمع قائم على قيم التعايش والتفاهم، ينعدم فيه الإقصاء والتعصب والعنصرية، وبهذا يمكن القول: إن الديانات السماوية الثلاث في مجملها ديانات قيم، جاءت لتكريم الإنسان، وتنوير طريقه بما يمكنه من القيام بدوره في المجتمع، وتحقيق تقدمه من

(١) الكتاب المقدس – انجيل متى – الاصحاح ٥ – الآية ١٧

خلال تقدم العناية بالفرد باعتباره مصدر كل ما يمكن أن يلحق هذا المجتمع من خير أو شر.

وحين نتفحص الرسائل السماوية الثلاث: التوراة، والإنجيل، والقرآن، نجد أنها عبارة عن رسائل موجهة في تسلسلها، دون إقصاء وبشكل واضح، إلى كل البشر، مهما اختلفت معتقداتهم وألوانهم وأعراقهم ولغاتهم، من أجل إرساء مجتمع يتمتع فيه الفرد بكل حقوقه وبكرامته دون تمييز، وبالتالي فهذه الديانات كانت غايتها الأساسية الإيمان بوجود إله واحد وبما ما جاء في كتبه، والاعتقاد بما جاء به مختلف الأنبياء والرسل، وتنظيم العلاقات بين كل فئات المجتمع عبر تبني مجموعة من القيم، المعلنة في النصوص السماوية، التي بفضلها يتحقق التعايش بين أتباع الديانات السماوية الثلاث.

ويمكن القول: إن هذه الديانات ساهمت في تأسيس الوعي بحرية الإنسان، وحقه في العيش الحر الكريم، وتحريره من كل قيود العبودية والخرافة التي تكبل طاقاته، وتعرضه لأبشع أنواع الاستغلال، وبحكم أنها أتت من ذات المصدر الواحد، والذي هو الله – عز وجل – فقد جعلت الإنسان أسمى شيء في الكون، والمسؤول الأول عن تنظيم الحياة في هذا الكون من خلال التطبيق الفعلي لما تضمنته الكتب السماوية الثلاث: التوراة، والإنجيل، والقرآن من توجيهات وقيم حيث جاء الدين الإسلامي خاتم الديانات في ذات السياق للديانتين السابقتين عليه في التأكيد على القاسم الأخلاقي المشترك والمتعايش مع هذه الديانات، حيث قال الله – عز وجل – في آيات القرآن الكريم: " بسم الله الرحمن الرحيم: " يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ". صدق الله العظيم(١).

(١) سورة الحجرات – الآية ١٣

أما عن الأحاديث الشريفة التي رويت عن سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى رأسها حديث صحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، (رواه أحمد)[1].

ويمكن استنتاج أن كانت العرب أحسن الناس أخلاقا بما بقى عندهم من الشرائع السماوية السابقة، ولكنهم ضلوا بالكفر عن الكثير منها، وبقيت عندهم أثارة من هذه الفضائل، فجاء الإسلام لا ليهدم هذه الفضائل الخلقية، ولكن ليتبنى كل الفضائل المعروفة وغير المعروفة لديهم، ويوازن وينسق بينها، ويقلد كل فضيلة المكانة اللائقة بها ضمن رسالته الكاملة الصالحة والمصلحة للحياة البشرية، ويوسع مجال تطبيقها؛ لكى يغطى كل نواحي الحياة: الفردية، والجماعية للبشر كافة، فكانت رسالته – صلى الله عليه وسلم – تأكيدا على أهمية الأخلاق وإقامتها فى التعامل مع الخالق – جل وعلا – أولا، ثم فى التعامل مع المخلوق، سواء أكان الإنسان وغيره من الناس، أو الإنسان ونفسه، أو الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى.

ولقد امتدت هذه الأخلاق لتشمل علاقتها كل نواحي الحياة، فهناك علاقة العقيدة بالأخلاق، وعلاقة الشريعة بالأخلاق، وعلاقة السلوك بالأخلاق، وعلاقة الضمير بالأخلاق ....

وإذا كان الإسلام قد جاء ليقوم ما هو معروف من أخلاق، فإنه أيضا جاء بمجموعة من الفضائل تتميز بأنها أخلاق معللة مفهومة، ليست تحكمية مجردة من أى تفسير ... أخلاق وسطية متوازنة جامعة بين الدنيا والآخرة، والروح والمادة، والعقل والقلب، والحق والواجب ... أخلاق واقعية تراعي حالة الإنسان .... أخلاق تمتاز بالشمولية فى مجال تطبيقها .... أخلاق لها أهمية

(١) الألباني – صحيح الجامع – صفحة ورقم ٢٨٣٣

بالغة فى ارتقاء السلوك الفردي، وارتقاء القدرة المعنوية للأمم والشعوب، كما أن لها الأهمية البالغة؛ لكونها ميزانا للأفعال والتروك والتفاضل.

ولأهمية الأخلاق فقد عدها الدين ركنا من أركانه، لا يقوم إلا به؛ ولذلك نجد أن أهمية ما يميزها أن مصدرها "الوحى"، فهي قيم ثابتة، ومثل عليا، تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه، وأنها أخلاق عملية، هدفها التطبيق الواقعي، وأن مصدر الإلزام فيها هو شعور الإنسان بمراقبة الله – تعالى –؛ ولذلك يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: " تقوى الله، وحسن الخلق"(١).

وخلاصة القول: أن الديانات السماوية الثلاث على ترتيبها، جاءت لتربية الإنسان وإنقاذه من الجهل وبراثن الوثنية والتخلف عبر اعتماد وترسيخ مجموعة من القيم الإنسانية التي هي بمثابة أسس العيش المشترك بين مختلف فئات المجتمع، فهذه الديانات كلها تسعى إلى غرس قيم التآخي والتآزر والتضامن والتسامح والمساواة والعدل والتطوع والصدق واحترام الآخر والعناية بالمستضعفين ونبذ العنف والكراهية والتعصب... كل هذا مسطر بوضوح في القرآن الكريم باعتباره آخر الكتب السماوية التي جاءت هدى للعالمين ومجسد في سلوك النبي – محمد صلى الله عليه وسلم – ومختلف سلوكيات الأنبياء والمرسلين.

لذا فمن مهام المؤسسات التربوية والإعلامية ومنظمات المجتمع المدني المساهمة في نقاش هادئ ورصين لبلورة تصور لمجتمع عالمي جديد، يقوم بالأساس على ترسيخ قيم العيش المشترك والأخلاق والوعي الديني بين مكونات المجتمع دون إقصاء أو ترهيب مع احترام الخصوصيات العقائدية(٢).

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل – مؤسسة الرسالة – ٢٠٠١ – المجلد الثالث – ص ١٠٠

(٢) القيم الانسانية في الديانات السماوية الثلاثة من أجل العيش المشترك – مقال منشور بتاريخ ٤ نوفمبر ٢٠٢٠ – منشور على موقع هسبريس من الرباط
https://www.hespress.com/

المطلب الثالث: أخلاقيات مقارنة الأديان:

إن ما يجري من علوم المقارنات بين الأديان، والسعي لإيجاد الأرضية المشتركة بين الأديان قد أضحت مجالا للعديد من العلوم والدراسات التي كشفت لها الديانات عن أصول ومسارات أخلاقية لا يمكن الخروج عنها احتراما لما يتعين أن تكون عليه المقارنات من سبل التقارب وليس التنافر، فقد أفسح الإسلام الطريق لأتباعه لتنفيذ أمر الله ورسوله بإعمال عقلهم فى اتباع دينه الإسلامي، فنهى الإسلام عن الكهانة، وعن رئاسة الأديان؛ حتى لا يعتمد المسلم فى عبادة ربه على رئيس ديني أو كاهن يتوسط له عند ربه، ويمنحه الغفران نيابة عن الله، بل إن الإسلام قد قرر العلاقة المباشرة بين العبد وربه التي يؤديها المسلم إيمانا منه بقدرة الله وصلته به التي لا تحتاج إلى أحبار أو كهنة أو ذوى السلطان فى العقائد الباطلة،

ويذكر العلماء أن علم الأديان يبحث عن منشأ الأديان وتطورها، وفي الأسس التي ترتكز عليها الأديان المختلفة، وفي أوجه الاتفاق، أو الاختلاف فيما بينها، وبعبارة أخرى: إنه يناقش تاريخ الأديان، ويوضح فلسفتها، ويوازن بينها، وتاريخ الأديان يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطوراتها، ومرتكزاتها لدى الشعوب البُدائية المتخلفة، والشعوب المتمدنة، فالغرض – إذن – من دراسة الأديان هو معرفتها، وأما فلسفة الأديان فإنها تبحث في العلاقات بين الأسس التي تستند إليها الأديان المختلفة، وفي الغايات التي تهدف إليها، وبدخل ضمن مباحثها علم ما وراء الطبيعة، وعلم الكلام، أو اللاهوت، وعلم التصوف، وهو ما يستدعي محاولات عديدة للتقريب وليس للتفرقة، وأن تتحلى هذه العلوم بالترحاب اللازم للآراء المختلفة، وعدم نقضها؛ ليكون الأمر أقرب للمقاربة منه إلى المقارنة.

وكذا نهى الإسلام عن الاتباع التقليدي الأعمى للديانات السابقة وإن كانت ما سبق الاسلام من ديانات سماوية والتي كان يتخذها الناس على أنها عرف واقتداء أعمى بأصحاب السلطان الديني أو ديانات الآباء(١).

وكذلك أقر الله الإيمان عن طريق الاقتناع العقلي، وذلك بإجراء المناقشات الدينية والحوار حول ذلك فى حدود الأدب والهدوء بما يتفق وروح الأديان السماوية وآدابها، وبما يتناسب مع حاجة الإنسان للعلم والدليل، والتأكيد عن طريق التجارب والتعلم من الآخرين بالنصح والإرشاد، وقرع الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، فى إطار من السهولة والبساطة والمنطق والكرامة.

وقد دل القرآن على ذلك فى قول الله – تعالى – " بسم الله الرحمن الرحيم " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون " صدق الله العظيم (٢).

وقد تعددت الأمثلة في تاريخ البشرية على الجدل الديني – ومحاولة إقناع الناس بإعمال العقل للوصول إلى الحقيقة الإلهية وعبادة الله الواحد القهار، وقد امتدت تلك المناقشات على مر التاريخ منذ عهد نبي الله نوح – عليه السلام – وما بعده من الأنبياء، وكذلك مناقشة سيدنا إبراهيم الخليل نبي الله – عليه السلام – لأبيه لإقناعه بالإيمان ومناظرة إبراهيم – عليه السلام – مع الملك النمرود حول قدرة الله، وكذلك محاورات نبي الله موسى – عليه السلام – وفرعون عند دعوته للإيمان، وموقف موسى نبى الله – عليه السلام – في مواجهة السحرة، ومحاولة إثبات قدرة الله وعظمته، ودحض سحرهم وإنكاره.

---

(١) راجع في ذلك : أ. عباس محمود العقاد – التفكير فريضة اسلامية – دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة – بدون تاريخ – صـــ ١

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

وكذلك أبرز الإسلام ذلك حين جاء دور المناقشات فى الإقناع بالإيمان وبعبادة الله، ومن ذلك مناقشات الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – مع الصحابة حول الإيمان وإقرار قومه الكافرين بعظمة البيان الذى أتى به فى آيات القرآن رغم عدم إيمانهم، وكذلك مناقشة أصحاب الرسول المهاجرين إلى الحبشة للنجاشي ملك الحبشة لإيوائهم وحمايتهم، وكذلك المناقشات التي دارت في عهد الخلفاء الراشدين بين الصحابة والأقوام من البلاد التي فتحها العرب حول الإسلام، ومنها مناقشة الإمام على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – للخوارج من أهل العراق والشام، وكذلك مناقشة خالد بن الوليد القائد المسلم لجرجة أحد كبار أمراء الروم [١].

ولكن الإسلام وإن كان قد سمح للناس بحرية إعمال العقل للتوصل إلى الحقيقة الإيمانية ومعرفة الله، فإن ذلك لا يعنى فتح مجال إعمال العقل للتطرق إلى الغيبيات، ومحاولة إجهاد العقل بما لا فائدة ولا طائل منه، حيث إنه لن يخدم العقيدة في شيء، ولن يتوصل الإنسان فيه إلى شيء، ولم يطالب به كذلك حيث إن عقله لم يخلق لبحث ذلك، ولن يتمكن من التوصل لتلك الحقائق والأفكار[٢].

وقد أوجب الإسلام على الناس عدم الخوض بالتفكير العقلي إلى الغيبيات الكونية حتى لا تؤدى ذلك بالفرد إلى الطرق الخاطئة فى تناول تلك المفاهيم والمسلمات، هذا فضلا عن أن الإسلام قد راعى أن عقول البشر تتفاوت فى

---

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام – تحقيق محمد فهمى السرجانى – الجزء الأول – مكتبة التوفيقية – أمام الباب الأخضر بالحسين – ١٩٧٨ – صـ ٢٩٢- ٢٩٣ – وكذا: الرحيق المختوم لصفى الرحمن المبار كفورى – الطبعة الشرعية – دار التقوى ودار الوفاء للنشر والتوزيع – ١٤٢٣ – ٢٠٠٢ صـ ١٢٦-١٢٧ .

(٢) د. معتز محمد أبوزيد – حرية العقيدة بين التقييد والتقدير – دار النهضة العربية – ٢٠٠٩ ص ١٥٠ وما بعدها

الفهم والادراك والاستيعاب، ومن ثم فإن ما توصل إليه العلماء والحكماء لا يطالب به من هم دون هؤلاء من البشر العاديين، بل لا يطالبون حتى بتفاصيله الدقيقة؛ ولذا أرسل الله كتبه ورسله لهداية الناس وتوجيههم إلى الطريق الأمثل لإعمال عقلهم فيه بغية معرفة الله حيث إن العقل وحده ما كان ليتوصل إلى الحقيقة الإيمانية بلا كتب أو رسالات سماوية [١].

(١) راجع في ذلك : المبسوط – لشمس محمد بن أحمد السرخسي – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الجزء العاشر صـ ١٢٥ – ١٢٦ .

المبحث الثالث

تشاركية الدين والقيم الأخلاقية

تمهيد وتقسيم:

يتضح مما تقدم أن فاعلية الأخلاق في تنظيم المجتمعات هو أمر لا يمكن إنكاره وكذلك، فهو من أهم عوامل تشكيل الوعي الرشيد لدى أفراد النظام الاجتماعي، ويعضد ذلك ويسانده الأديان السماوية ومبادئها الروحية التي ابتغت حياة أفضل للإنسان، وجعلت من القيم الأخلاقية أرضية مشتركة بين هذه الأديان، بداية من التعاليم، وصولا إلى علوم مقارنة الأديان، وهو ما يمكن معه استعراض ما أحدثته الديانات السماوية من اختلاف وإضافة في المجتمعات وفقا لما يلي:

المطلب الأول: القيم الأخلاقية إثراء للفكر الديني الإسلامي:

أفرز التفاعل بين القيم الأخلاقية والديانات نتائج أثرت الفكر الديني وتطبيقاته؛ مما زاد من التلازم والتناغم بين القيم الأخلاقية وما تتضمنه الأديان من قيم روحية، فعلى سبيل المثال يقدم العدل قيمة عليا، وهو اسم من أسماء الله الحسنى التي يقدسها المسلمون، وهو وإن كان من أهم مبادئ الشرائع والقوانين السماوية فقد اجتهدت النظم الوضعية بإقراره والتوصية به، إلا أن العدل فى الإسلام وفى شأن تطبيقه فى الدولة الإسلامية هو عدل مطلق عام وشامل، يستظل به كل من يقيم فى دار الإسلام، ويأمن به الجميع مسلمين كانوا أم غير مسلمين، كما يتمتع به من تربطهم بالمسلمين عودة أو صداقة، أو حتى لو كانوا من أعدائهم.

كما أن العدل الذى يقوم عليه النظام الإسلامي ويعد دعامة من دعائمه هو العدل المثالي الذى يتحقق لكل الناس مهما اختلفت أجناسهم، وأديانهم ولغاتهم،

وهو العدل الذى لا يتأثر بجاه أو سلطان أو قرابة، كما لا يتأثر ببغض أو عداوة أو مودة أو موالاة [١].

وكذلك احتلت قيمة المساواة مساحة كبيرة في الفكر الديني الإسلامي، فلم يعرف الإسلام يوما التفرقة العنصرية أو الاضطهاد، فلم توجد على مر تاريخ الدولة الإسلامية الطويلة فئة مطاردة أو منبوذة أو غير معترف بها من غير المسلمين، فهذا بلا شك ظلم يتعرض له أهل تلك الطائفة، وهذه الفئة مما ينافى مبدأ العدل الذى اعتمدت عليه الدولة الإسلامية فى نشأتها وفى معاملاتها لرعاياها في مجال الحقوق والواجبات.

فالإسلام دين المساواة، لا يعرف التفرقة بين الناس، سواء في الأصل أو اللون أو العقيدة، فكل الناس فى الدولة الإسلامية متساوون في الحقوق والواجبات والحريات، وأن الغرض من خلقهم على ذلك النحو الطائفي إنما هي حكمة الخالق عز وجل فى تعارف وتقارب تلك الطوائف فى إطار الكرامة الإنسانية والقيم الأخلاقية التي تحكم مجتمعات البشر.

وبذلك قرر الإسلام أن الناس بتساويهم في الأصل والخلقة لا يجوز التمييز بينهم، وأن فضل أحدهم على الآخر يكون بالتقوى والعمل الصالح وطاعة الله، وفى ذلك عودة واضحة للأساس الإيماني الذى فرضه الله على دولة الإسلام في معاملة غير المسلمين، وأن تلك القواعد لم تترك لسيادة الأمة اختيارا في ممارستها وتشريعها وتطبيقها، وإنما جاءت أساسا إيمانيا إلهيا مفروضا على حكام وأفراد الدولة الإسلامية في معاملة مواطني هذه الدولة من غير المسلمين.

وكذا لم يعرف الإسلام التمييز وعدم المساواة، ليس فقط بين أصحاب الأديان المختلفة الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية، وإنما داخل كوادر الدولة بين الحكام المسلمين والأفراد من غير المسلمين.

---

(١) انظر فى ذلك : د. فتحى الدرينى – خصائص التشريع الاسلامى فى السياسة والحكم – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٢ – صـ ٥٩ وما بعدها .

وعلى صعيد آخر تأتى الحرية في المجتمع الإسلامي في موقع متميز في مبادئ الحكم الإسلامي، ولا شك في نطاق البحث في حرية العقيدة وجب الالتفاف إلى هذا الموقع، فهو نتاج تضافر مبادئ العدل والمساواة التي فرض الله تطبيقها فى الدولة الإسلامية، ويتضح تطبيق مجال إفساح الحريات لغير المسلمين في حرية العقيدة لتلك الطوائف، فالإسلام لم يأت للتفرقة بين الأديان السابقة عليه أو السيطرة على أتباعها(١).

فقد عمل الإسلام على تعاون الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول واختلاط المسلمين بأبناء الديانات الأخرى، محاولا فى ذلك إيجاد أرضية خصبة مشتركة بينه وبين الديانات الأخرى، وبخاصة الديانات السماوية في إطار من الاحترام المتبادل، بلا غمز ولا لمز لخصوصيات معتقدات وشعائر كل ديانة.

وليس أدل على ذلك من أن الإسلام لم ينفر قط من دين آخر، وأنه بقدر الهجمات التي تعرض لها الدين الإسلامي في كتابات فقهاء وعلماء الغرب والأديان الأخرى لم يقم الإسلام برد تلك الإساءات بمثلها، والهجوم على أية عقيدة لغير المسلمين، بل عمل دائما على إفراز نفسه مما يلصق به من ادعاءات بغرض تشويه صورته، وزعزعة عقيدة المسلمين ومن يتعاملون معهم.

ولعل من أهم الشواهد على ما سبق استيعاب الإسلام لمختلف الثقافات والحضارات والتأثير فيها والتأثر بها، والاحتكاك بما أفرزته تلك الحضارات من مؤلفات وتراجم وسير وكتب وترجمتها إلى اللغة العربية، ومدارستها في دولة الإسلام بكل ما تحمله من أفكار وردت على الدولة الإسلامية بمواصلة

(١) د. معتز محمد أبوزيد – حرية العقيدة بين التقييد والتقدير – مرجع سابق – ص ٢٠٠ وما بعدها

اتساعها، مما يؤكد أن الإسلام لم يأت ليقتلع أتباعه من بشريتهم، وإنما لمد جسور التعاون والترابط بينه وبين الأديان والحضارات الأخرى.

جاء الإسلام ليخاطب البشرية بأكملها، ورسالة دينية سماوية إلى العالم أجمع، فهو دين إنساني وجه عنايته في المقام الأول إلى الاهتمام بالنظام الاجتماعي القائم وقت ظهوره، وما سيقوم ذلك الدين بإنشائه، ومن هنا نرى أن الاسلام وبحق امتاز بعدالة سمحاء، تترك لجميع الناس حرية اختيار معتقدهم، وينحصر اعتقاد المسلم بالفطرة السليمة التي تربطه بالله رب العالمين، وأن الله هو الذى يدبر نظامه ويسيره إلى غايته، فعلاقته بربه لا تنقطع، وحياته مرتبطة بتعاليم الله ونظمه، وأن على المرء أن يطلب الهداية، وأن يجد في دينه السبيل للتعرف على الله وإرادته، فالأساس الذى يقوم عليه النظام الاجتماعي في الإسلام هو الإيمان بالله رب العالمين، ولا يقبل الاسلام بغير ذلك مفهوما للمجتمع تحت أي نظام أو دين، ومن ثم فقد أنشأ الشارع الإلهي من خلال الدين الحنيف دستورا نظم فيه الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي بكل ما في ذلك من معان روحية ومعنويات عالية وقانون يصلح للتطبيق فى أي زمان ومكان، بعيدا عن أساليب السلطة والإكراه والانقياد(١).

جاء دين الإسلام دينا اجتماعيا وإنسانيا، يحرر القيم الأخلاقية من العبث، فالإنسان ما هو إلا كائن أخلاقي متدين، تسيطر العقيدة على كل تصرفاته إلى الخير أو الشر، فعقيدته إما عقيدة صالحة أو عقيدة مضللة تدفعه إلى الشر، وما كانت تلك القيم والمبادئ لتظهر إلا بمعرفة دين سماوي، فكان الإسلام سباقا في هذا المجال.

---

(١) الشيخ على محمد فتح الله – عضو مجمع البحوث الاسلامية – انسانية الاسلام – الأزهر الشريف – مجمع البحوث الاسلامية – المؤتمر الثانى عشر – هذا هو الاسلام – صفر ١٤٢٣ – أبريل ٢٠٠٢ – الجزء الأول – صـ ٧١-٧٣ .

ولمعرفة الإسلام الحقة بالتكوين الأخلاقي والإنساني للبشر عامة جاء الإسلام بفكر جديد لم يسبق إليه دين آخر، وهو ما عرف بفكرة تعايش الأديان السماوية، وقبول الآخر، وتلك مصطلحات جديدة لم تظهر إلا من خلال دراسة نظرة الإسلام للأديان الأخرى كنظرة جديدة ونظام خاص بذلك الدين الحنيف.

المطلب الثاني: الجانب النظري للأخلاق والجانب العملي للأديان:

سبق وتبين ضرورة القيم الأخلاقية في تنظيم المجتمعات والتأثير فيها، إلا أنه تتعين الإشارة إلى أن علم الأخلاق Ethics هو ذلك العلم الفلسفي الذي يختص بدراسة الأسس أو المبادئ التي بناء عليها يمكن أن ننسب قيمة أخلاقية Moral Value لسلوك ما، وبهذا الاعتبار فإن علم الأخلاق في الأصل علم عملي؛ لأن مسائل الأخلاق بطبيعتها تتعلق بالسلوك الإنساني، ومن ثم فإنها تُعد شأنًا من شؤون الحياة العملية.

وعلى الرغم من أن الفكر الفلسفي منذ نشأته قد نظر إلى علم الأخلاق باعتباره علمًا من العلوم الفلسفية العملية، أي يتعلق بالسلوك الإنساني، وليس بالأمور النظرية الخالصة التي تتعلق بالبحث في الكون والوجود على الرغم من ذلك، فإنه يمكننا القول بأن القدماء نظروا إلى علم الأخلاق كعلم عملي، فقط بهذا الاعتبار، أعني باعتبار أن موضوع هذا العلم يتعلق بالسلوك الإنساني.

ولكن هذا العلم منذ نشأته قد ظل – في واقع الأمر – بحثًا نظريًّا حول المفاهيم المتعلقة بالمبادئ الأخلاقية، وعلى رأس هذه المفاهيم مفهوم الخير نفسه، فبعض الفلاسفة رأوا الخير في السعادة، وبعضهم رأى الخير في تحقيق المنفعة، وآخرون رأوا الخير في الإحسان والغيرية أو إيثار الآخرين، بينما رأى كانط الخير في تحقيق مبدأ الواجب الأخلاقي باعتباره مبدأً عامًا لا استثناء فيه.

ولا مراء في أن كانط يعد واحدًا من أعظم الفلاسفة الذين انشغلوا بصياغة المعايير أو الشروط الأوَّلية التي ينبغي أن تتحقق في السلوك لكي نصفه بأنه سلوك أخلاقي، ومع ذلك فقد ظل البحث الفلسفي في الأخلاق – بما في ذلك بحث كانط نفسه – بحثًا نظريًّا، ولقد بينت شيئًا من ذلك في مقالي السابق، فالأخلاق الكانطية تؤكد على مبدأ الإحسان باعتباره واجبًا أخلاقيًّا ينبغي الالتزام به دائمًا، ولكنها لا تبين لنا كيف نسلك في مواقف الحياة العملية المتعددة والمعقدة والمُربكة فيما يتعلق بفضيلة الإحسان، وأرسطو يقول لنا: إن الفضيلة وسط بين رذيلتين (على نحو ما تكون الشجاعة وسطًا بين التهور والجبن)، ولكننا في مواقف الحياة العملية قد لا نستطيع أن نحدد ما هو أخلاقي بناءً على هذا الوسط الحسابي؛ ولذلك فإننا عندما ننزل من علياء البحث الفلسفي النظري الخالص في مسائل الأخلاق إلى البحث في تفاصيل الأمور العملية، نجد أن المبادئ النظرية العامة لا تُسعفنا هنا كثيرًا، وأنه يجب علينا أن ننظر إلى هذه المبادئ نفسها ونعيد تقييمها في ضوء ما تمليه الوقائع أو الحالات العملية نفسها(١).

وبجانب ما تتمتع به الأخلاق من جانب نظري تطلب ظهور علم الأخلاق العملي، فإن الإسلام قدم من خلال القيم الروحية والدينية نموذجا عمليا لتفعيل هذه القيمة، وقد اعتمد في ذلك على عدة مفاهيم منها:

الأولى الربانية:

فالأخلاق في الإسلام مصدرها الوحي الإلهي والتشريع الرباني، وتنطلق من أوامره ونواهيه.

فهي ربانية المصدر، وهي كذلك ربانية الوجهة، إذ تقصد من خلال الالتزام بها إلى ربط الإنسان بالله تبارك وتعالى. وهو أمر لا تجده في أي من القوانين الأخلاقية الوضعية.

---

(١) د. سعيد توفيق – الأخلاق النظرية والأخلاق العملية – مقال منشور بتاريخ ٥ يونيو ٢٠٢٢ – على موقع عمان https://www.omandaily.om/

الثانية الشمول:

فالأخلاق في الإسلام لا تتعلق بجانب واحد من جوانب حياة الإنسان، بل إنها تنتظم حياته من بدايتها إلى نهايتها، وتفرد اجنحتها على كل نواحي الحياة، فدائرة الأخلاق واسعة جدا، ونطاقها رحب، فهي تنظم علاقة الإنسان بخالقه تبارك وتعالى، كما تنظم علاقته بأخيه الإنسان، بل وحتى علاقته مع الحيوان والجماد.

كما يشمل جانب العقيدة، حيث الدعوة إلى الإخلاص والصدق بعيدا عن الرياء، وفي مجال العبادة حيث ابتغاء وجه الله بها، والانضباط بحدودها المشروعة. وفي مجال الأخلاق الفردية نجد الدعوة إلى الحياء والصبر، وفي مجال العلاقات الإنسانية نجد الدعوة إلى الإحسان وأداء الواجب والتعاون، فمجال الأخلاق في الإسلام هو هذا الكون كله في جميع أنحائه.

ومن جوانب الشمول في الأخلاق الإسلامية أن الإسلام لم يكتف بإضفاء الصفة الخلقية الحسنة على السلوك ذي الطابع النفعي أو الضروري للحياة فحسب، وإنما أضفى ذلك على الجانب التحسيني والجمالي، فهناك آداب لكل نشاط من أنشطة الإنسان حتى في مأكله وملبسه ومجلسه وممشاه، كما دعا إلى الظهور بالمظهر الحسن أمام الناس.

الثالثة الواقعية والمثالية:

تتجلى مثالية الأخلاق في دعوتها الإنسان إلى التسامي والارتقاء، فهي تنشد المثل العليا في القيم الأخلاقية والسلوك الإنساني، وترنو إلى أن يصل إلى أقصى درجات الكمال، هذه هي خاصية المثالية، وفي نفس الوقت فهي أخلاق واقعية تتجلى واقعيتها في التكليف بقدر الاستطاعة ومراعاة الحالات الضرورية وتجنيب الإنسان الضيق والحرج، ولا تحاسب الإنسان على الأعمال التي تقع خارج نطاق إرادته كالخطأ والنسيان والإكراه.

الرابعة التوازن والتوسط:

تتسم الأخلاق الإسلامية بالتوازن والتوسط، بين الجسد والروح، وبين الحقوق والواجبات، وبين الدنيا والآخرة، وكذلك التوازن في النظر إلى الطبيعة البشرية، فلم يعتبرها خيرا محضا ولا شرا محضا، وإنما يؤكد أن لديها استعدادا فطريا لتقبل الخير والشر.

الخامسة الثبات:

يتميز الإسلام بثبات منهجه وأصوله؛ لأنه وحي من عند الله – تعالى – الذي أحاط علمه بكل شيء، فالقرآن الكريم محفوظ بين دفتي المصحف بحفظ الله – تعالى – له، وهو المصدر الأساسي كل القيم، ومنها القيم الأخلاقية' وكذلك حُفِظَت أحاديث الرسول ﷺ وسيرته بأن قيَّض لها من العلماء من حفظها، ونقَّح صحيحها من ضعيفها بمنهج متميز وجهد كبير، وهي مصادر مهمة من مصادر القيم الأخلاقية، فلقد جاء الإسلام ببرنامج تربوي منظم على أساس فطرة الإيمان، لبناء أمة صالحة تحتضن أجيالا تؤمن بالله واليوم الآخر.

وهو يستند في برامجه على قوة الضمير الأخلاقي الذي زرعه الله سبحانه وتعالى في نفوس البشر، بهدف بناء مجتمع تحكمه الصفات الإنسانية والسجايا الأخلاقية النبيلة المبنية على أساس من المبادئ الإيمانية المتينة، التي ترسخ في المجتمع الإسلامي مجموعة من المقومات التي تحدد أساس وجوده، وقوة شخصيته، سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي أو الأخلاقي أو الاقتصادي أو السياسي(١).

(١) مرهف بن حسين أسد – الأخلاق ويثرها في احياء الأمة – مقال منشور بدون تاريخ على موقع https://ar.dawahskills.com/

المطلب الثالث: الدين والأخلاق نماء للبشرية:

بادر الإسلام إلى وضع تخطيط مسبق للحياة الاجتماعية الأخلاقية المشتركة بين الأديان السماوية والأديان الأخرى والإسلام، فان لم يؤمن البشر بالإسلام وبقوا على دينهم السماوي أو غير ذلك من الأديان فليس ذلك مبررا لمحاربة الإسلام أو محاربة الإسلام لهذه الديانات، بل وضع تعاونا وتكاملا بين جميع الأديان.

هذا فضلا عن أن تنفيذ ذلك التصور الإسلامي للكيان الديني العالمي لن تجد ديانة غضاضة فى حماية أتباعها شرط أن تأتي في إطار القيم الأخلاقية والعقلانية والمنطقية التي توافقت عليها جميع الأديان، وتواصل هذه الأديان مع بعضها البعض.

وأساس ذلك أن الأديان السماوية جميعها مصدرها واحد، وهو الله، فلا تناقض ولا تعارض، فالدين واحد من عند الله، وعلى ذلك ولما كانت الأقليات الإسلامية المنتشرة فى مختلف أرجاء العالم والتي يصمها فريق عالمي واسع بأنها جماعات إرهاب ونشر عنف تنمو في ظل ذلك التكامل الديني كما فعل الإسلام فى إنسانيته الكريمة، فإذا تواجد التعاون الفكري والعلمي والمالي المستمر يستطيع أن يساعد لبناء مؤسسات في تلك المجالات تستطيع الاحتكاك المباشر بكل العوالم لنقل جميع القيم الحضارية الدينية، ومن ثم يتم صناعة أقدر الدعاة من تلك الأقليات التي تعيش في البيئات المختلفة في نشر قيم الدين لمعرفتهم طبيعة التعامل مع منظومة بيئاتهم ومجتمعاتهم، وتحرى الدقة في وضع الخطط الكفيلة بإحداث وعى حضاري ديني، ونشر حقائق الإيمان[1].

---

(١) د. محمد ابراهيم الفيومى – عضو مجمع البحوث الاسلامية – الأزهر الشريف – مجمع البحوث الاسلامية – الادارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه – كتاب المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الاسلامية – هذا هو الاسلام – الجزء الأول – صفر ١٤٢٣– أبريل ٢٠٠٢ – الاسلام دين الحضارة والانسانية – صـ ١٠٠ – ١٠١ .

وجاء تحريم البدع ومنع الابتداع فى الدين الإسلامي نتيجة طبيعية لاحترام مقدسات الإسلام وأصوله وأركانه، الثابتة والحفاظ على تماسك المجتمع، ورعاية مصالحه، وتكافله؛ لما قد تؤدى به تلك البدع الى تفكك المجتمع، ونشر الخرافات به، وزعزعة العقيدة السليمة فى نفوس المسلمين؛ ولذلك جاء الحكم الشرعي بأن كل بدعة بدون سند شرعي أو أساس فقهي فى الاسلام فهي ضلالة، ولا يجوز العمل بها أو اتباعها؛ لأنها ليست من ممارسات حرية العقيدة للمسلمين، وإنما هي معول هدم للمجتمع الإسلامي الذى يكفل هذه الحرية.

فالاجتهاد المستند إلى الحرية العقائدية في الدين الإسلامي يجب أن يأتي من أصحاب العلم الكافي فى ذلك، وبصورة منظمة وصحيحة، وفى أمر من أمور المسلمين خلت منه النصوص، وآراء المجتهدين السابقين وباقي أصول الفقه، أما فيما عدا ذلك فإنما يدخل فى نطاق الوهم والخرافة.

ولما كان الهدف من القيم الأخلاقية وكذلك القيم الروحية في الأديان يتمثل في: " إعداد الإنسان إلى ممارسة المصالح وتوزيع الأعمال، على نمط يكفل التساوي بين الأفراد في الحقوق والواجبات، كما يطلق مفهوم الأخلاق على أعمال الإنسان وسلوكه الإرادي الذي يتجلى في تلك القيم والفضائل الأخلاقية ومضاداتها من الرذائل، مثل الصدق والكذب، والمحبة والكراهية، البخل والكرم، الإخاء والحقد، الإيثار والأنانية، الرأفة والتعنت، البر والتسلط، الأمانة والخيانة... فكل هاته الصفات والأعمال دليل على السلوك الأخلاقي للإنسان "؛ ذلك أن الفطرة البشرية إذا جبلت على شيء وتطبعت عليه أصاب منها ما شاء سواء كان خلقاً حسنا أو سيئا.

وهو ما نسعى إليه من خلال الوقوف على منظومة القيم في القرآن الكريم، واستنباط أنواعها وخصائصها، وإبراز دور القيم الإسلامية في إعطاء صورة للمجتمع المسلم، وتكوين شخصية الفرد المسلم وملامحها المتميزة،

وبيان فعاليتها في صياغة الحياة وأهدافها في ظل التقدم العلمي والتقني المعاصر.

وإزاء هذا فإنه " لابد أن ندرك أهمية وجود منظومة من القيم المتميزة بالتعدد والمرونة، والخاضعة للتغير المضبوط، في ظل التقدم العلمي والتقني المذهل، الذي غدا يمس كل مكون من مكونات حياة الإنسان، وبالرغم من مساهماته فإنه لم يستطع أن يحل مشكلات حياة الإنسان المعاصرة؛ لأننا نرى اضطرابات اجتماعية واقتصادية وسياسية، هذا إلى جانب تفاقم مشكلات العمل، والصراع بين الفقراء والأغنياء، وحِدّة المناوشات العالمية بين القوى المختلفة، وكذلك المنازعات المحلية، إلى جانب مشكلات أخرى كثيرة)" فالقيم هي الأساس لبناء مجتمع متميز؛ لأن فقدان التربية على القيم التي تبنى عليها شخصية الإنسان، تُفقد المجتمع جوهره وروحه، وتجعله يعاني من قصور في تأكيد ذاته وهويته الثقافية(١).

وبالتالي نجد المنهج القرآني يربي المؤمن على القيم الأخلاقية والاجتماعية، " من خلال الممارسة العملية للعبادات بصفة عامة ومنها عبادة الاتفاق والصدقة، التي يتجلى لها هذا الأثر الازدواجي، الذي يستهدف به الباري تطهير النفس أخلاقيا، من خلال تنقيتها من شوائب الحرص الشديد على جمع المال، وإبعاد رذائل البخل، والشح، والطمع، كما يعزز المنهج القرآني من خلال الزكاة قيم التكافل، ومؤازرة الفقراء ومواساتهم، وسد حاجة المعوزين والبؤساء، والمحرومين اجتماعيا، ومن ثم العمل على تقوية المجتمع وتثبيته واستقراره؛ لتسود به قيم: التضحية والإخلاص والعفة والإيثار... وهذه القيم كفيلة بإزاحة كل الرذائل التي تعشعش داخل المجتمع الذي تتفاوت فيه الطبقية بين أفراده" .

(١) أحمد الزباخ – المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية – ص ٢٦٤.

فتكون هذه الروابط الاجتماعية القوية سببا في تشارك أفراد المجتمع المسلم بعضهم بعضا في أفراحهم وأحزانهم، واستشعار كل واحد منهم أن لكل فرد في هذا المجتمع حقا عليه، مما يقوي أواصر المجتمع، ويصونه من التشتت، وينمي فيه القيم التربوية الأخلاقية التضامنية، ويحقق الاطمئنان والسكينة.

وإن القيم الأخلاقية التي تحاول النظريات الأخلاقية الحديثة اليوم أن تخص بها نفسها، ما هي إلا مبادئ وأخلاق المنهج القرآني، وآثار قيمه الفردية والجماعية، وقف عليها علماء التفسير، فاستنبطوا لنا منها منظومةً قيميةً هائلةً، أبرزتْ نماذجَ من القيم الاجتماعية الإيجابية التي أمر الله سبحانه بها، والتي تتمثل في قيم: العدل، الشورى، الإخاء، الأمانة، العفو، الصدق... ونماذجَ من القيم الاجتماعية السلبية التي نهى عنها – سبحانه وتعالى –، مثل: الظلم، الخيانة، الغش، الحقد، الغيبة، الزنا...، وقد تأثرت بها الإنسانية عبر مسيرتها التربوية والأخلاقية(١).

– تم بحمد الله –

(١) د. عبد القادر الشايط – القيم الأخلاقية في التراث التفسيري – ٢٧ أغسطس ٢٠٢٢ – مجلة المرقاة – العدد ٧ – ص ٥٠ وما بعدها

خاتمـــــــة

ننتهي في هذا البحث إلى أن وجود القيم الأخلاقية كان ضرورة لنشأة المجتمعات، وتحقيق التأثير اللازم فيها؛ لتكون بيئات مناسبة لحياة البشر، إلا أن البشر، وقد خلقهم الله من جسد وروح، وتطلب ذلك الكائن البشري اتزانا روحيا من نوع خاص، فقد اكتملت رسالة القيم الأخلاقية بأن أنزل الله الديانات السماوية، والتي حملت من القيم الروحية ما دعم القيم الاخلاقية، وقدم النماذج الأفضل من مجتمعات البشر.

تقاربت القيم الروحية والقيم الأخلاقية، وأضحي لكل منهما جانبه النظري والعملي الفعال، والذي ساهم في التقريب والتقارب بين الديانات السماوية الثلاثة على أرضية أخلاقية مشتركة من القيم الإنسانية التي يتفق عليها الجميع.

إن الأخذ بالمعيار الأخلاقي ليس خروجا على تعاليم الدين، وكذلك فإن تفعيل القيم الروحية في الأديان لا تقيد الأبعاد الإنسانية للقيم الأخلاقية، وهو ما يتعين التأكيد عليه؛ لتحقيق جانب عملي متميز للقيم الأخلاقية والقيم الروحية، وكذلك للوصول إلى التكامل والتناغم المنشود بين القيم الأخلاقية في المجتمع والقيم الروحية لدى الفرد؛ لإنماء البشرية وثراء المجتمعات إلى حياة أفضل.

قائمة المراجع

الكتب المقدسة:

- **القرآن الكريم.**
- **الكتاب المقدس.**

المؤلفات:

- إبراهيم مدكور – المعجم الفلسفي – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر – ١٩٨٣ –.
- ابن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت – لبنان – ١٩٦٨ – المجلد العاشر .
- ابن هشام – السيرة النبوية – تحقيق محمد فهمي السرجانى – الجزء الأول – مكتبة التوفيقية – أمام الباب الأخضر بالحسين – ١٩٧٨ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل – مؤسسة الرسالة – ٢٠٠١.
- أحمد الزباخ – المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية .
- الألباني – صحيح الجامع – صفحة ورقم ٢٨٣٣.
- د. خديجة جوادة – القيم الأخلاقية مع الآخر بين الديانات السماوية الثلاثة وانعكاساتها الواقعية – دراسة تحليلية مقارنة – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسطنطينة – الجزائر – مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية – ٢٠٢٠ – المجلد الرابع – العدد الثاني.
- شمس محمد بن أحمد السرخسي – المبسوط – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الجزء العاشر.
- صفي الرحمن المبار كفورى – الرحيق المختوم – الطبعة الشرعية – دار التقوى ودار الوفاء للنشر والتوزيع – ١٤٢٣ – ٢٠٠٢.

- د. فتحى الدرينى – خصائص التشريع الإسلامي فى السياسة والحكم – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٢.
- عباس محمود العقاد – التفكير فريضة إسلامية – دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة – بدون تاريخ.
- د. عبد القادر الشايط – القيم الأخلاقية في التراث التفسيري – ٢٧ أغسطس ٢٠٢٢ – مجلة المرقاة – العدد ٧.
- الشيخ على محمد فتح الله – عضو مجمع البحوث الإسلامية – إنسانية الإسلام – الأزهر الشريف – مجمع البحوث الإسلامية – المؤتمر الثانى عشر – هذا هو الإسلام – صفر ١٤٢٣ – أبريل ٢٠٠٢ – الجزء الأول.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آباد الشيرازي – القاموس المحيط – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – الطبعة الثالثة – ١٩٨٠.
- د. محمد إبراهيم الفيومى – عضو مجمع البحوث الإسلامية – الأزهر الشريف – مجمع البحوث الإسلامية – الإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه – كتاب المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية – هذا هو الإسلام – الجزء الأول – صفر ١٤٢٣– أبريل ٢٠٠٢ – الإسلام دين الحضارة والإنسانية.
- د. معتز محمد أبوزيد – حرية العقيدة بين التقييد والتقدير – دار النهضة العربية – ٢٠٠٩.

المقالات:

- إبراهيم عامري – أزمة الوعي الأخلاقي في المجتمع – مقال منشور بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٢٢ – على موقع https://www.echoroukonline.com/.
- د. أبو القاسم فنائي – الدين في ميزان الأخلاق – قراءة في العلاقة بين الأخلاق الدينية والأخلاق العلمانية – مقال منشور بتاريخ ٢٦ / يناير ٢٠١٧ – ترجمة حسن علي مطر – على موقع https://nosos.net/

- د. جمال نصار – أهمية الأخلاق لرفعة المجتمعات وتماسكها – مقال منشور بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠٢٣ – على موقع د. جمال نصار.
https://gamalnassar.com/
- حسن العطار – مقال دور الأخلاق في بناء المجتمعات – بتاريخ ٢ يناير ٢٠٢١ على موقع ايلاف https://elaph.com/Web/opinion/
- سعيد توفيق – الأخلاق النظرية والأخلاق العملية – مقال منشور بتاريخ ٥ يونيو ٢٠٢٢ – على موقع عمان.
https://www.omandaily.om/
- صاحب الربيعي – مقال بعنوان القيم الأخلاقية في المجتمع – منشور بتاريخ ٢٢ / ٧ / ٢٠١٠ على موقع الحوار المتمدن.
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=223355
- – مصطفى غلمان – في أخلاقية الضمير والوعي الأخلاقي – مقال منشور على موقع هسبريس – بتاريخ ١٠ / مايو / ٢٠١٩.
https://www.hespress.com/
- عبد الجواد يسن – بين الأخلاق والدين – مفاهيم إشكالية في الوعي الإسلامي المعاصر – مقال منشور بتاريخ ١٢ / مايو / ٢٠١٨ – على موقع https://www.almesbar.net/
- علي عزت بيجوفيتش – الأخلاق والدين – مقال منشور بتاريخ ١٥ / سبتمبر ٢٠٢٢ – على موقع http://www.khotwacenter.com/
- - مرهف بن حسين أسد – الأخلاق وأثرها في إحياء الأمة – مقال منشور بدون تاريخ على موقع https://ar.dawahskills.com/
- منار العزب – مفهوم القيم وخصائصها وأهميتها – مقال منشور بتاريخ ٢٣ / يونيه ٢٠٢١ على موقع
https://www.almrsal.com/post/1083613

المواقع الالكترونية:

- https://www.hespress.com/
- https://www.iedunote.com/ar/%D9%82%D9%8A%D9%85

المراجع الأجنبية:

Mitchell, B.(1980) Morality: Religious and Secular (Oxford: Clarendon Press).

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**مستخلص البحث**
٢	**المقدمة**
٣	**المبحث الأول: القيم الأخلاقية ووعي المجتمعات**
٤	مفهوم القيم الأخلاقية.
٥	تأثير القيم الأخلاقية في النظام الاجتماعي.
٦	الوعي قيمة أخلاقية.
٧	**المبحث الثاني: القيم الأخلاقية ورسالة الأديان.**
٨	الدين إطار أخلاقي.
٩	القواسم الأخلاقية المشتركة قي الأديان.
١٠	أخلاقيات مقارنة الأديان.
١١	**المبحث الثالث: تشاركية الدين والقيم الأخلاقية.**
١٢	**المبحث الثالث: دور القضاء الإدارى في حماية الأخلاق المهنية**
١٣	القيم الأخلاقية إثراء للفكر الديني الإسلامي.
١٤	الجانب النظري للأخلاق والجانب العملي للأديان.
١٥	الدين والأخلاق نماء للبشرية.
١٦	**خاتمة**
١٧	**قائمة المراجع**
١٨	**فهرس الموضوعات**